

تفسير ابن كثير

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ^ط فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن
خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا^ج وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(فكلًا أخذنا بذنبه) أي : كانت عقوبته بما يناسبه ، (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) ،

وهم عاد ، وذلك أنهم قالوا : من أشد منا قوة ؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد ،

عاتية شديدة الهبوب جدا ، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم ، وتقتلعهم من

الأرض فترفع الرجل منهم إلى عنان السماء ، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا

بلا رأس ، كأنهم أعجاز نخل منقعر . (ومنهم من أخذته الصيحة) ، وهم ثمود ، قامت

عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة ، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة ، مثل ما

سألوا سواء بسواء ، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم ، وتهددوا نبي

الله صالحا ومن آمن معه ، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم ، فجاءتهم صيحة أخدمت

الأصوات منهم والحركات . (ومنهم من خسفنا به الأرض) ، وهو قارون الذي طغى

وبغى وعتا ، وعصى الرب الأعلى ، ومشى في الأرض مرحا ، وفرح ومرح وتاه بنفسه ،

واعتقد أنه أفضل من غيره ، واختال في مشيته ، فحسف الله به وبداره الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . (ومنهم من أغرقنا) ، وهم فرعون ووزيره هامان ، وجنوده عن آخرهم ، أغرقوا في صبيحة واحدة ، فلم ينج منهم مخبر ، (وما كان الله ليظلمهم) أي : فيما فعل بهم ، (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي : إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم . وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية ، وهو من باب اللف والنشر ، وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ، ثم قال : (فكلا أخذنا بذنبه) [الآية] ، أي : من هؤلاء المذكورين ، وإنما نبهت على هذا لأنه قد روي أن ابن جريج قال : قال ابن عباس في قوله : (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) ، قال : قوم لوط . (ومنهم من أغرقنا) ، قال : قوم نوح . وهذا منقطع عن ابن عباس ؛ فإن ابن جريج لم يدركه . ثم قد ذكر في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط بإنزال الرجز من السماء ، وطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق . وقال قتادة : (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال : قوم لوط ، (ومنهم من أخذته الصيحة) ، قوم شعيب . وهذا بعيد أيضا لما تقدم ، والله أعلم .